

رثاء شهيد الأمة وأمير الاستشهاديين:

(أبي مصعب الزرقاوي)

للشيخ أسامة بن مُحَمَّدِ بْنِ لَادِنِ (حفظه الله)

الحمد لله، ثم الحمد لله القائل: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [آل عمران: 169-170].

والصلاة والسلام على نبينا محمد، القائل: (والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل).

أما بعد؛

فلقد فُجعت أمتنا الإسلامية بفارسيها المقدام، سيد السادة، ورجل الحزم والسداد؛ أبي مصعب الزرقاوي أحمد الخلايلة، إثر مقتله بعارة أمريكية أئمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فارجوا الله أن يكرمه بما تمنى فيتقبله في الشهداء، ويجزل له المثوبة والعطاء، ويحسن لأهله وذويه العزاء.

أيها المسلمون؛ إن المصاب جليل، والخطب عظيم، ونَحْنُكُمْ على الجميل؛ وهو الصبر، ونُرْغِبُكُمْ في الجزيل؛ وهو الأجر.

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر *** فليس لعين لم يفيض ماؤها عذراً
فتى مات بين الضرب والظعن ميتة *** تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

أمتنا الإسلامية الغالية؛ لأن أحزننا فراق الأحبة، أبي مصعب وصحبه، فقد سرنا أن أنفسهم
سالت في هذه الملاحم العظام وهم يذودون عن شريعة الإسلام، ولأن أُصِبتنا بفارسٍ من
أعظم فرساننا و أميرٍ من خيرة أمرائنا، فقد سرنا أننا وجدنا فيه رمزاً وقُدوةً خالدةً لأجيال
أمتنا المحمّدية، وسيدكُره المحاهدون ويدعون له، وثنون عليه شعراً ونثراً، سرّاً وجهراً، سنُثني
عليه ما علمنا.

فقد كان سمح المحالفة ما لم يُظلم محمد بن رسول الله فرعا كما غير مُذمم

مضى أبو مصعبٍ رافع الرأس، عزيز النفس، محراباً في دينه الدنية، ولم
ينم على الضيم أبداً، ولم يُدهن في الحق أبداً، عبر على الكافرين رحيماً بالمؤمنين، مُحرضاً
على القتال، و مجاهداً في سبيل الدين.

و من أقواله رحمه الله: (فلا خير في عيشٍ تُسَهّل فيه الحواضنا، و تُداس فيه كرامة
أخواتنا، ويحكّمنا فيه عبّاد الصليب).

وقوله: (نُقَاتِلُ في العِراقِ و عُيُونُ عَلِيٍّ هِيَ المِراسِمُ الذي لا يُسْتَرَدُّ إلا بقرآنٍ يهدي
و سيفٍ ينصُر).

وكان رحمه الله مع محبة أصدقائه، وتقدير أعدائه، فالمنصفون منهم شهدوا له ومدحوه،
ولا عجب.

مضى طاهر الأثواب لم تبقى روضة *** غداة ثوى إلا اشتهدت أنها قبر
عليك سلام الله دوماً فإنني *** رأيتُ الكريمَ الحرّ ليس له عمرُ

اقتدى أبو مصعب بنينا محمد صلى الله عليه وسلم، واقتدى بمن مضى قبله بساداتنا؛
بمصعبٍ وعمر وعلي وجعفر، رضي الله عنهم أجمعين، فخاض غمار الحرب مُبتسماً، فرفع
الله شأنه، وأعلى ذكره، وصار أسوةً لمن بعده.

حُب الجبان النفس أوردته البقا * وحُب الشجاع الحرب أوردته الحرب**
وما الفرق ما بين الأنام وبينه * إذا حذر المحذور واستصعب الصعب**

مضى أبو مصعب عليه رحمة الله وقد فتح الله عليه، فأسس قاعدة للدفاع عن الدين،
ولاسترجاع فلسطين بلا حيلة، وأخذ بثأر المسجونين هناك حيث أثنى في الأمريكيين
حلفاء اليهود ودونجهم، فعل رحالهم، وصار مصعب بن عمير من أمواتهم وشمت شملهم،
وأذل كبريائهم، حتى تجرا عليهم الداني والقاصي والبيد والحداد، فخلدوا في التاريخ من أوسع
أبوابه فشرّفه، وأخذ بيد العالم إلى طريق العزة فعرفه وصار حجةً عليه، فخُلدت سيرته مع
سير أعلام النبلاء.

ولا تبكين إلا ليث غاب * شجاعاً في الحروب الثائرات**
دعوني في الحروب أمت عزيزاً * فهدت الراية خير من حياتي**

إن أبا مصعب علّم البشرية دروساً عظيمة من الحرية، فالحرية لا تُرهب للخانعين
تحت قباب الديمقراطية، وعلّم البشرية كيف يجب أن تكون في زمن إسبَد فيه الطاغوت
الأكبر فرعون العصر، بوش وصحبه، وداسوا على جمع قتلهم والمواثيق، ولكم في غزو العراق
وسجن غوانتانامو عبرة، فأرهبوا الناس، واستذلّوهم بالنار والحديد، وعاملوا الرؤساء معاملة
العبيد.

لقد جاء فرعون العصر إلى العراق لا يبالي برفض ومظاهرات البشر، الذين قالوا له: (لا
لسفك الدم الأحمر من أجل النفط الأسود)، ولكنه احتقر العالم أجمع، وتقدّم إلى العراق
مُستكبراً، مُتغطّراً بجنده وعتاده، مُتصوراً أن أسد الشرى قد مُسخّوا، وأن رجال الإسلام قد

خَسَوْا، بعد أن قَدَّمَ له حُكَّام العَرَبِ مِن مُلُوكِ ورؤساء آيات الطاعة والولاء، والمذلة والاستخداء، وكلُّ منهم يُحسِسُ على رأسه؛ متى يكون دوره ليوضع في رَمْسِهِ.

هَجَمَ العدو على العراق فجعل يعسف بالناس عَسْفًا، و ينسفُ القرى نسفًا، وأزيز الطائرات قد ملأ الآفاق، وصمَّ الآذان، و إنفجارُ البارودِ قد نَشَرَ الحُتُوفَ، وأزكَمَ الأنوفَ، وكانت الجبالُ تَهْتَرُ وتميد من شدة القصف، فبلغت القلوب الحناجر، ولاذ أولو البأسِ والنُهَى بأحلاسِ بيوتهم، ولم يحرضوا بقول، ولم تحملهم أقدامهم من شدة الهول، واشرب الباطل، ونَقَضَ المصنوعون العهود، وقفوا في خندقِ النصارى واليهود، وصار المسلمون كالغنمِ الشتائية، في ليلة مطيرة بأرض مسوية.

وفي ظل تلك الأجواء الرهبة الكئيبة، التي توحش بها الناس ولا تحبها، وأشباه علماء ولا علماء، وأشباه رجال ولا رجال، إلا من ركبوا تلك الظروف العصيبة المنزلة ظهر فارس الإسلام أبو مصعب الزرقاوي.

كَمَثَلِ اللَّيْثِ مُفْتَرِمًا يَدِيهِ *** جَرِيءُ الصَّدْرِ رِبَالًا سَبِطَر

ظهر ومعه ثلة من المؤمنين، كانوا سبعة عشر رجلاً، وليسوا سبعة عشر جيشاً، فتواثقوا وتعاهدوا، وعاهدوا الله تعالى أن ينصروا دينهم، يهلكوا كفره، رجالاً ورجالاً قليل.

والناس ألف منهم *** والعدد ألف إن أمر عا

ومن سيقاتلون؛ مثلهم في العدد أو مثليهم؟! كلا، أو حتى عشرة أمثالهم؟! كلا، إنها أمواجُ كأمواجِ البحرِ من العتادِ وجنود الشر، ولكن من عَظَّمَ حق الله في قلبه و رُزِقَ التوحيدَ تَمِيدُ الجبالِ الرواسي ولا يميد، فترجَّلَ فارسنا حاملاً الراية، وعزَمَ على القتالِ إلى النهاية، فإما يذوق ما ذاق جعفرٌ أو يذوق النصر.

فأثبتَ في مُستنقعِ الموتِ رجلَهُ *** وقال لها من تحتِ أحمصكِ الحشرُ

فخاضوا غمار الحرب، وبدءوا الضرب، وذلك بعددٍ يسير من الكلاشنات، وعددٍ يسير من ألغام الدبابات، وعددٍ يسير من مدافع البازوكا، وكان أبو مصعب قد جاء مع بعض إخوانه في الفترة الماضية إلى الجهاد ضد الروس، فسابق إخوانه حتى سبق المتقدمين، ونطقَ فَبَزًّا الناطقين، وبمجيئه وإخوانه إلى أرض أفغانستان أخذوا تطعيم معركة ضد القوى الكبرى، وزالت من أذهانهم أسطورة الدول العظمى، ونقلوا الجُرأة الكبيرة المتوثبة، والمعنويات الهائلة، من أفغانستان إلى بغداد، وأشعلوا فتيل الجهاد، وتفجرت طاقات الشباب في كل مكان، من أعلى الهرم إلى أسفله، والله الحمد والمنة.

هذا هو فارسنا الذي تحدث عنه، قام بكلمة بعد وفاء الله له؛ بإمكانات ذاتية بسيطة، ولم يكن وراءه حلف دولي، ولا تحالف قومي، ولا تنظيم عالمي، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله واسعٌ عليم.

نفس عَصامٍ سوّدت عَصاماً** وعلمته الكفر بالإقدام

نعم هذا هو فارس الإسلام الذي نتحدث عنه، والذي قام في وجه فرعون العصر، في وجه الإمبريالية الأمريكية، بعد أن فشلت المنظمات الدولية، والتجمعات الإقليمية، بعد أن فشل العالم أجمع في إيقاف ذلك العدوان الغاشم الظالم.

ضروب لهام الضارب الهام في الجهاد** عصفوا إذا ما أثقل الفرس اللبد

بصير بأخذ الحمد من كل موضع** ولو حمله بين أيديها الأسد

وهنا ندعو الله أن يجزي خير الجزاء فارسنا المقدام، وأن يجزي خير الجزاء كل من عزّانا وواسانا في فارسنا العظيم رحمه الله، ونخص بالذكر أمير المؤمنين الملا محمد عمر، فنرجوا الله تعالى أن ينصره وإخوانه المجاهدين على الكافرين.

ثم إنني أقول لمن يتهم فارس أمتنا بأنه يقتل بعض فئات الشعب العراقي، أقول له؛ إذا جاءك من يدعي أن رجلاً فقاً عينه فترث حتى ترى المدعى عليه، فلعل المدعى قد فقاً عينه!

وهذا ما بدأ يزداد وضوحاً في الأسابيع الأخيرة، حيث تحدث النائب محمد الدائن عن حجم الظلم والتعذيب الذي يُمارس ضد المسلمين في السجون العراقية، كما تحدث كذلك من قبل قادة هيئة علماء المسلمين عن حرب إبادة يتعرض لها أبناء الإسلام في العراق.

وإننا يا مصعب، عليه رحمة الله، كانت لديه تعليمات واضحة؛ بأن يركز قتاله على الغزاة المحتلين وعلى رأسهم الأمريكيين، وأن يُجيد كل ما يخدم هذا الغرض، وأما من أبي إلا أن يقف يقاتل في خندق الصليبيين ضد المسلمين، فمما نشأ من كان بعض النظر عن مذهبه وعشيرته، فمناصرة الكفار على المسلمين في غزواتهم، بل في بلادهم العشرة، كما هو مقررٌ عند أهل العلم.

ثم إنني أقول لبوش؛ يجب عليكم تسليم جثمان البطل لأهله ولا تُكثروا الفرح، فالراية لم تسقط بحمد الله، وإنما انتقلت من أسدٍ إلى أسدٍ من أسدِ الإسلام، وسنواصل بإذن الله قتالكم وحلفاءكم في كل مكان، في العراق وأفغانستان والصومال والسودان، حتى نستنزف أموالكم، ونقتل رجالكم، وترجعوا مهنئين بأن الله من بلادكم، كما هزمتكم من قبل بفضل الله في الصومال.

كما أقول لوكيلك في الأردن؛ كفاك استجداداً، بل استجد أبا مصعب الدخول إلى موطنه حياً، فلا تحل بينه وبين ذلك الآن، وأولى الناس بالخروج من الأردن هو أنت؛ إلى الحجاز فتلك بلادك وبلاد آبائك قبل أن تُنصبَ بريطانيا جدك عبد الله الأول عميلاً لها على الأردن، وما يُخيفُك من الزرقاوي عليه رحمة الله بعد أن فارق الحياة، إلا لأنك تعلم أن جنازته إن تُركَ المسلمون وشأنهم فيها فستكون بإذن الله جنازةً كبيرة، تُظهر مدى تعاطف المسلمين مع أبنائهم المجاهدين.

وفي الختام أقول؛ إن أبا مصعب عليه رحمة الله لا يشرف قبيلته ووطنه وأمته فحسب؛ بل يشرف البشرية جمعاء.

فقد جسَّد لها معاني العزة والإباء، والتضحية والفداء، وإن سيرته مادةٌ قيِّمةٌ لنموذجٍ مُعاصر، فإن دَرَسْتَ الدُّنيا سيرته العطرة تعلَّمْ أبناؤها كيف يصنَع الإيمان بالله الرجال، ليقاوموا أهل الظلم والضلال، وحرِيٌّ بكل مُربي وكتابٍ وروائي أن يقتبسَ من سيرته ما يُحيي به الأجيال الناشئة والأجيال القادمة كما أنه حرِيٌّ بكل شاعرٍ حُرٍّ أن يقرضَ الشعَرَ في هذا الصقر، ولو كنت من فرسان الشعر لأكرت القوافي في رثائه، ولطفت بذلك تماضر في نداء صخر، ولكن لا حرج أن أستعير الأبيات من شعر شاعر الإسلام في العاصفة؛ الشيخ يوسف أبو هلاله:

غص الثرى بدم الأضاحي وتليت شح الكفاح

ومن القفار الجرد تبنغ نبعه الماء القراح

تزهو بألوية العقيدة والبطولات الصراح

وتقول إن شحَّ العطاء فنحن للدين الأضاحي

والفوز فوز الخطى حسومها بدم الجراح

الرافضين كان تبيديارهم يبيد السماح

والعائفين العيش السعدن المستباح

بضع من اللحظات يهزم روعها هوج الرياح

يهوي بها حمدان مثل الصقر مقصوص الجناح

من بعد ما اقتحم الردى والقصف قد غمر النواحي

فحنوت ألثم جرحه الرعاف فانتكأت جراحي

وهمت على خدي الدموع فقلت يا روحي وراحي
هلا رحمت قلوبنا وعدلت عن هذا الرواحي

فأجابني البطل المسجى هازئاً بي باقتراحي
كفكف دموعك ليس في عبراتك الحرة ارتياحي
هذا سبيل إن صدقت محبته فاحمل سلاحي

رحم الله من صعب، ورحم الله كل من حمل السلاح للجهاد في سبيل الله، وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

4 جمادى الثنية 2011

30 يونيو / حزيران 2011

